

## جانب من خطاب القرآن الكريم لأهل الكتاب: (النصارى)

د. محمد به إسماعيل آل حليم  
أستاذ بكلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر

### المقدمة:

القرآن هدي ورحمة للعالمين، جاء إلى البشرية ليهديها سواء السبيل، وليدفع عقولها إلى التفكير وإلى الوصول إلى الحق وإلى الصواب، وإلى النجاة دنيا وأخرى.

فالقرآن الكريم: (أول ما ينبغي أن يتعلم من علم الله) كما قال المصطفى ﷺ، لا يمكن أن تُفْتَحَ مغاليقُه، ويُتَوَسَّلَ إلى إدراك خطابه، إلا اعتمادا على علوم مختلفة، متنوعة ومتعددة، يجب السعي إلى توفيرها بإعداد المدارس في مختلف المستويات، وتوفير الأكفاء من المدرسين، وتطوير الخطط والمناهج للوصول إلى الحقائق اللامتناهية.

وإذا كان موضوعنا اليوم الذي سنعالجه: هو إظهار: "جانب من خطاب القرآن الكريم لأهل الكتاب: (النصارى)"، فإنه موضوع حاولنا أن يكون في إطار أيام الملتقى الثالث للحوار الإسلامي المسيحي، والذي يهدف إلى معالجة مسألة: التدريب والتربية من أجل السلام.

إن أهل الكتاب (النصارى)، أتباع المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام)، أقرب الناس إلى المسلمين، أتباع الرسول محمد بن عبد الله المصطفى الأمين، خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

مداخلتي هذه ستبين هذا المنحى من خلال بعض الإشارات الواردة في القرآن الكريم، متجنباً في آن ما قصده القرآن الكريم من الردّ على ما ذهبوا إليه في الاعتقاد والتصورات.

وإن الذي سأعرضه ليس بخاف على كل متخصص، إلا أن هذا المقام يقتضي إبرازه ولو باقتضاب، لتتضح مكانة أهل الكتاب بصفة عامة، والنصارى منهم بصفة خاصة، في ثقافة وفكر ومعتقد المسلمين.

### النصارى في ظل الإسلام:

بالقرآن الكريم جانباً من الخطاب لأهل الكتاب: (النصارى) لِيَنِّ لَطِيفٌ، وهو خطاب يوجد بالقرآن الكريم غيره من الخطاب الذي لا يهادن ولا يداهن، بل يبين بكل وضوح وتفصيل المسائل المتعددة التي تتعلق بأهل الكتاب بصفة عامة، والتي تتعلق بالنصارى بصفة خاصة، والتي تتعلق بـ (المسيح) عليه السلام، وأمه البتول (مريم) عليها السلام بصفة أخص.

إن الخطاب الذي سنظهره في هذا المقام هو ذلك الخطاب المبيِّن قربَ النصارى من المسلمين كما في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَهُوَدَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّكُمْ ذَلِكَ بَأَن مِّنْهُمْ قَسِيْرِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>(1)</sup>

هو ذلك الخطاب المُعدَّ جيلاً - عند تربية وتكوين الناشئة في العالم الإسلامي - يتعايش مع النصارى تعايشاً كله أمن وسلام.

وهذه الحقيقة مسألة أكدتها النصوص الشرعية: الآيات من القرآن الكريم، والأقوال والأفعال من المصطفى ﷺ. وإن سيرته ﷺ المطهرة العطرة، وسيرة الصحابة الكرام من بعده مليئة نماذج تؤكد وتثبت ذلك<sup>(2)</sup>، وكذلك مسيرة المسلمين من بعدهم، وأكد كذلك الواقع الاجتماعي في تاريخ الحضارة الإسلامية التعايش السلمي بين أتباع الديانتين ولا ينكرها إلا جاحد، وما كان من الصراع فلعوامل وأسباب خارجية بعيدة عن أصول الديانتين.

### عواملُ التصادم:

إنّ مدارس هذه المسألة (السلام)، والحوار الإسلامي المسيحي ينبغي الحذر كل الحذر من مدارسها على ضوء معطيات الواقع المعاصر، لأن أبعاداً أخرى، قد اكتتفتها، سياسية وعسكرية واقتصادية، غايتها: التسلط والاستحواذ والهيمنة.

جانب من خطاب القرآن الكريم لأهل الكتاب (النصارى)

لقد كانت المساعي الاستعمارية المرتبطة بالتبشير مستفزة لمشاعر المجتمعات الإسلامية، في القرنين الماضيين، وكانت تهمة الإرهاب الملتصقة بالدين الإسلامي اليوم مُعرضة ومُضرة بالمسلمين في مصيرهم الاجتماعي والفردى في كل أنحاء المعمورة.

ونذكر في هذا المقام مثالين اثنين يتزامن مع انعقاد مؤتمرننا هذا:

بالأمس فقط: (09 جويلية 2011 م) كان الاحتفال بنشأة الدولة الجديدة: (جنوب السودان)، الغنية بالثروات، المنفصلة عن دولة (السودان) الأم، بعد أن اتخذت القوى الخارجية المساعي للتفريق بين الشمال والجنوب، أيام الاستعمار البريطاني الإنجليزي للسودان، فأُنشئت الكنائس وأُبعد الحرف العربي، ثم كانت الفتنة والاقتيال ومحاولة الانفصال، ثم كان الاستفتاء، فالانفصال، وهي النتيجة المرغوب فيها، والمخطط لها.

واليوم: 10 جويلية 2011 م، ب(البوسنة) مسيرات من المسلمين إحياء لذكرى مقتل آلاف المسلمين من قبل الصرب وبحضور القوات الدولية الغربية، في تصفية عرقية، أبعادها دينية.

وهو أمر قد حصل عندنا بالجزائر مع المستعمر، عندما اقتحم بلادنا، فأول ما قام به: تحويل بعض المساجد الهامة إلى كنائس، وحاول أن يزرع كنائس في مختلف المناطق من الوطن، ولكن أنى له ذلك.

هذه نماذج قريبة منا، ذكرناها للتبويه، ولفت النظر إلى أن عوامل- من غير الدين- موجودة في الواقع، تزرع الفتن والصراع، وتزيل التعايش السلمي بين الأمم. ولا بد لمثل هذه التصرفات من ردة أفعال، والبيادئ أظلم. ولا بد من توضيح الأمور، ما دام موضوعنا الحوار الإسلامي المسيحي، ولا بد من البحث عن الأسباب الحقيقية، إن تأكدت الإرادة للسلام، والرغبة في توفير الأمن، والتعايش السلمي، والاحترام المتبادل.

إن الإسلام قد كرم النصارى وأشاد بهم، وبالقرآن الكريم، كلام رب العالمين، نصوص تثبت جانبنا من هذا الإكرام وهذه الإشادة، وسنعرض في مقامنا هذا بعضا منها، ولا يتسع المقام لذكرها جميعا.

أهل الكتاب والأنبياء والرسل أمة واحدة:

يقول الله- جل وعلا- في سورة (المؤمنون)، بعد أن سرد قصص الأنبياء والرسل السابقين بصفة إجمالية، وخص سيدنا نوحا بالذكر، وموسى وعيسى قائلًا:

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ <sup>(3)</sup>

وفي سورة (الأنبياء)، يخاطب رسوله المصطفى والمؤمنين به من البشر، ومن الخلق أجمعين، قائلًا: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ <sup>(4)</sup>

وذلك بعد أن سرد قصص الأنبياء تفصيلاً: موسى وهارون وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ولوطا، ونوحا وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس وغيرهم، ثم ختمها- جل وعلا- مبينا شأن العذراء (مريم) وابنها (المسيح) عليه السلام قائلًا:

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَفَنَحْنَا فِيهَا مِنْ زُوجِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ <sup>(5)</sup>

وهذه المكانة لأهل الكتاب في عقيدة المسلمين وثقافتهم تؤكدتها آيات بينات أخرى من الذكر الحكيم، تجعل المؤمنين بالمبعوث رحمة للعالمين محمد ﷺ، خاتم النبيين والمرسلين، يُقرّون كذلك، ويؤمنون بجميع الأنبياء السابقين، على حد سواء، منهم عيسى- عليه السلام-، كما في قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ءَ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ <sup>(6)</sup>

وهذا الإقرار والإيمان مطلوب من المسلم المؤمن، لأن الدين عند الله واحد، وإن اختلفت الشرائع، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ <sup>(7)</sup>

وقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١١٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقُصِّصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١١٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٨﴾

ثم عتَب بعد الآيات نفسها، مخصصا ما كان عاما، فخطب رسوله محمدا ﷺ بقوله: ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٩﴾

هذا جانب من الخطاب في القرآن الكريم، وقد كان في النبيين والرسل وفي أهل الكتاب، وقد شمل النصارى بصفة عامة، أما الذي كان فيهم بصفة خاصة فما أكثره. وفي إطار موضوعنا المحدد أعلاه: (تبيان القرب الحاصل بين المسلمين والنصارى، نجد: من الخطاب ما يُعلم ويُخبر، ومنه: ما يُعلم ويُزكِّي، ومنه: ما يُوجِّه ويُرشِد، ومنه: ما يُوقظ العقل ويُنبِّه الانتباه، ومنه: ما يُذكِّر بالنعمة والفضل.

### خِطَابٌ يُعَلِّمُ وَيُخَبِّرُ:

من النماذج القرآنية في هذا الخطاب قوله جل وعلا: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٠﴾

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا مَنْ طَافَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَ طَافَةً فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١١﴾

وقوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا يَبْغُونَ أَنْ يَبْغُوا مِنْ رَبِّكَ يَقْضَىٰ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢﴾

في الآيات السابقة الذكر بسورة (الجاثية) بين المولى جل وعلا المميزات التي من بها على بني إسرائيل، من إتيان الكتاب، والحكم، وجعل الأنبياء فيهم، وتمييزهم على كثير من عباد الله، ووضَّح الصورة التي هم عليها عند مجيء محمد ﷺ، ثم وجه

الخطاب إلى صاحب الرسالة الخاتمة، موجها ومرشدا، قائلا: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (13) تاركا الحكم والقرار لمن تصل إليه هذه المعطيات المعرفية، وهذا التوجيه والإرشاد، في فسحة للإيمان والاعتقاد، وفي فسحة للنظر والاجتهاد، وفي فسحة لتتبع الدراسات المعرفية المختلفة وإدراك الأبعاد، ثم عقب في السياق، في آخر المطاف قائلا: ﴿ هَذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (14)

### خطابٌ يعلمُ ويُرَكِّي:

منه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصْرَىٰ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (15)

ومنه قوله: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ ذَلِكَ بِأَن مِّنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ (٨٤) فَأَتَّبَهُمُ اللَّهُ يَمَّا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (16)

### خطابٌ يُوَجِّهُ ويرشِد:

منه قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (٧٧) لُعِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (17)

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (18)

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَفِيهُوا ۗ الْخَيْرَاتُ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

### خطابٌ يوقظ العقل، ويُلَفِّت الانتباه:

كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾، وفي قوله: ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنِّي إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ مِن قَبْلُ ﴿٢١﴾﴾، وفي قوله: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢٢﴾﴾

### خطابٌ يذكّر بالنعمة والفضل:

من ذلك، وهو يذكّر بالنعمة على (عيسى) عليه السلام، وأمه (مريم)، قوله جل وعلا: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَدْبِرُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٣﴾﴾

ومنه قوله وهو يذكّر الحوارين بفضله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامِنًا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يُعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُومُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلِيَانَا وَعَآخِرِنَا

وَأَيَّاهُ مِنَّا وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْزُقُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنِّكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾

### خطاب تفصيلي لشأن صاحبه:

ولمكانة (المسيح) عليه السلام وأمه (مريم) عليها السلام في الديانة الإسلامية، وَرَدَّ الْحَدِيثُ عَنْهُمَا وَعَنِ النَّصَارَى بِتَفْصِيلٍ وَتَوْضِيحٍ كَمَا جَاءَ - مَثَلًا - فِي سُورَةِ (آلِ عِمْرَانَ) مِنَ الْآيَةِ: (33) إِلَى الْآيَةِ: (68)، وَهَذِهِ آيَاتُهَا الْأُولَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَالَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ.

وَمِثْلُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ (مَرْيَمَ): كَانَ التَّفْصِيلُ فِي شَأْنِ (زَكَرِيَّا) عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ التَّفْصِيلُ فِي شَأْنِ (الْمَسِيحِ) وَأُمِّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى الْآيَةِ: (40).

### نتيجة الخطاب القرآني في خدمة السَّلام، [شهادة ونموذج من واقعنا]:

إِنَّ الْخُطَابَ الْقُرْآنِيَّ قَدْ أَنْتَجَ فِكْرًا إِسْلَامِيًّا رَاقِيًا سَامِيًّا، يَشْهَدُ لَهُ كُلُّ عَاقِلٍ مُنْصَفٍ، الصَّدِيقِ مِنْهُ وَالْعَدُوِّ، فِي الْقَدِيمِ وَفِي الْحَدِيثِ.

وَعَلَى هَذَا فَإِنَّا سَنَسْتَشْهَدُ فِي مَقَامِنَا هَذَا، وَفِي خَتَامِ كَلِمَتِنَا، بِتَصَرُّفٍ حَصَلَ فِي الْوَاقِعِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ فِي الْجَزَائِرِ، كَانَ لِعَالَمَيْنِ مِنْ عُلَمَائِهَا دَوْرٌ فَعَّالٌ، وَهُمَا مِنْ الْأَعْضَاءِ الْمَعْتَبَرِينَ فِي (جَمْعِيَةِ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْجَزَائِرِيِّينَ)، إِنَهُمَا: الشَّيْخُ (عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ بَادِيَسَ)، وَالشَّيْخُ (الطَّيِّبُ الْعَقْبِيُّ). حَصَلَ هَذَا التَّصَرُّفُ الْإِنْسَانِي، بَلِ الْإِسْلَامِي، أَيَّامَ جُثُومِ الْاِسْتِعْمَارِ الْفَرَنْسِيِّ عَلَى ظَهْرَانِ الْجَزَائِرِيِّينَ.

إِنَّ الَّذِي سَنَذْكُرُهُ كَانَ الْمُرْتَكِزَ فِي كَلِمَةِ مِمَثَلِ الدِّيپلُومَاسِيَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ بِالْجَزَائِرِ (وِيلِيَامُ جُورْدَانِ)، قَبْلَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ مِنْ مُؤْتَمَرِنَا هَذَا، وَبِالضَّبْطِ: يَوْمَ 3 جُولْيَةِ 2011م، فِي ذِكْرِ اسْتِقْلَالِ بِلَادِهِ، وَنَشَرْتِ الْخُطَابَ كَامَلًا جَرِيدَةً: (الشَّرُوقِ الْيَوْمِي) الْجَزَائِرِيَّةَ. <sup>(24)</sup>

جانِب من خِطَاب القرآن الكَرِيم لِأهل الكِتَاب (النصارى)

إنه وإن كانت لكلمته قراءات أخرى، وأبعاد أخرى، قد ترقى إلى الخطورة، إلا أنا سنستفيد منها ما يتناسب ومقامنا هذا: القرآن وإعداد جيل سليم التفكير، يحقق الأمن والسلام.

لقد بيّن ممثل الدبلوماسية الأمريكية أنه: "خلال الحرب العالمية الثانية حاول الفاشيون تجريد اليهود في الجزائر من ممتلكاتهم وحقوقهم، وعرضوا على المسلمين الجزائريين مكافأة مغرية في حال مساعدتهم، فحشد الشيخ (الطيب العقبي)، الذي كان يتبنى نفس أفكار ومبادئ العلامة (عبد الحميد بن باديس) الملاً للدفاع عن جيرانهم اليهود الذين كانوا يواجهون خطراً شخصياً هائلاً. أصدر الأئمة في جميع أنحاء البلاد فتاوى ضد الاغتناء على حساب معاناة الآخرين."<sup>(25)</sup>

ويّـن ممثل الدبلوماسية الأمريكية أنه على الرغم من فقر الأهالي، - وطبعاً بسبب سياسة الاستعمار القمعية التمييزية - رفض المسلمون العرّض المغربي، إذ يضيف قائلاً: "على الرغم من فقرهم، رفض المسلمون الجزائريون قبول العرّض، وواجه الجزائريون البسطاء خطراً كبيراً في سبيل الدفاع عن شرف الانسانية."<sup>(26)</sup>

فهذا الجانب الإنساني المتمكن عند المسلمين الجزائريين، خاصة، وعامة، إنما كان بفضل التنشئة الإسلامية، والتنشئة القرآنية.

هذا، وإن السفير الأمريكي (جوردان) - في نفس الخطاب - يذكر أنه في الجزائر وفي ظل الحكم العثماني لم يجد المسلمين ممانعين من الاعتراف بأمريكا التي تحصلت على استقلالها حيث يقول: "اكتشفت أنه منذ ما يقرب من 200 عاماً وطئت قدماً أول مبعوث أمريكي (جون لام) الجزائر، للتفاوض على معاهدة السلام والصداقة، وكان ذلك عام: 1785م، بعد سنتين فقط من حصولنا على استقلالنا... وقد حل بالجزائر أول مبعوث مقيم أمريكي بعد ذلك بعامين، مما جعل (الجزائر) سادس دولة في العالم لديها بعثة أمريكية دائمة، والأولى خارج أوروبا."<sup>(27)</sup>

فهذا نموذج حي ذكرناه لنبيّن ما ينتجه القرآن الكريم في التربية والتكوين، من قبول الآخر والتعايش معه، لا التصادم المزعوم والمروج له اليوم، أملين إعداد الناشئة المسلمة على القرآن: (الكون الملحوظ)، ﴿أَقْرَأْ بِأَسْرَرِكَ الَّذِي خَلَقَ﴾<sup>(28)</sup>، وعلى القرآن: (الكتاب المحفوظ)، ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾<sup>(29)</sup>، على أن تتوالى الجهود

للعناية بالقرآن الكريم مطلقا ، {فهو أول ما ينبغي أن يتعلم من علم الله هو} ، كما أوصانا الرسول المصطفى ﷺ. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

### الهوامش:

- (1) سورة المائدة: 5 / الآية: 82.
- (2) محاضرة الشيخ زايد سعيد محمود من جامع الأزهر الشريف كانت في الموضوع، وكان طرحه كاف شاف.
- (3) سورة المؤمنون: 23/ الآيات: 49-52.
- (4) سورة (الأنبياء): 21/ الآية: 92.
- (5) سورة (الأنبياء): 21/ الآيات: 89-92.
- (6) سورة (البقرة): 2/ الآية: 285.
- (7) سورة (الشورى): 42/ الآية: 13.
- (8) سورة (النساء): 4/ الآيات: 163-165.
- (9) سورة (النساء): 4/ الآية: 166.
- (10) سورة (الصف): 61/ الآية: 6.
- (11) سورة (الصف): 61/ الآية: 14.
- (12) سورة (الجاثية): 45/ الآية: 15-17.
- (13) سورة (الجاثية): 45/ الآية: 18.
- (14) سورة (الجاثية): 45/ الآية: 20.
- (15) سورة (المائدة): 5/ الآية: 69.
- (16) سورة (المائدة): 5/ الآيات: 82-85.
- (17) سورة (المائدة): 5/ الآيات: 77-81.
- (18) سورة (المائدة): 5/ الآية: 68.
- (19) سورة (المائدة): 5/ الآيات: 46-48.
- (20) سورة (آل عمران): 3/ الآيات: 59-61.
- (21) سورة (المائدة): 5/ الآية: 59.
- (22) سورة (آل عمران): 3/ الآية: 110.
- (23) سورة (المائدة): 5/ الآيات: 111-115.
- (24) جريدة (الشروق اليومي) الجزائرية، عدد: 3344، الصادرة بتاريخ: 04 جويلية 2011م.
- (25) المصدر نفسه.
- (26) المصدر نفسه.
- (27) المصدر نفسه.
- (28) سورة (العلق): 96/ الآية: 1.
- (29) سورة (البروج): 85/ الآيات: 21- 22.